

وجهاء العرب والمقاطعة «المنسية» فى أوراق الجامعة العربية !

★★ زمان : مقاطعة البضائع فى البرامج الانتخابية لنواب فلسطين فى البرلمان «العثمانى» .
★★ والآن : الهرولة إلى إسرائيل ، أقصر الطرق للرضا «الأمريكائى» !

□ ■ □

★ وجهاء العرب والصهاينة «معاً» على موائد المندوب السامى البريطانى .
★ ومظاهرات الأهالى ترغم الوجهاء والسماصرة على مقاطعة هذه الموائد !

□ ■ □

★ كيف ظهرت أول جمعية «سرية» لمنع بيع الأراضى الفلسطينية لليهود ؟
★ ولماذا «تناست» الجامعة العربية التاريخ «الشعبى» لمقاطعة الصهاينة !؟

□ ■ □

★★ متى ظهر أول «جيتو» يهودى فى التاريخ ؟
★★ ولماذا ظهر - أولاً - فى موطن نشأة «المافيا» !؟

□ ■ □

★ اليهود فى الأندلس «الإسلامية» :

«تعلموا الطب والفلك والرياضيات - على أيدي علماء المسلمين - فى المساجد»
★ والمسلمون تحت الاحتلال الإسرائيلى حالياً :

«محصدهم رشاشات الصهاينة فى ساحة الحرم الإبراهيمى» !!

obeikandi.com

التاريخ «الحقيقي» لمقاطعة العرب لإسرائيل .. مكتوب - كما قلت - على طريقة أتور السادات .

ليس فقط على طريقته فى التزييف .. والتحريف .. والتلون !
وإنما أيضاً : فى الإهدار .. والإنتكار .. والسرية . ١
والسبب أنا وأنت وحكامنا .. وجامعة الدول العربية . ١١
كيف .. ١٢ تعالوا نرى .

★★★

«فكرة مقاطعة الصناعات الصهيونية ، نشأت تحت تأثير ازدياد الوعى العربى العام ، وشعوره بخطر السرطان الصهيونى الذى أخذ يتمركز فى قلب الوطن العربى .. وهذا الخطر ظهر بوضوح فى محاولات الصهاينة ، تركيز صناعاتهم فى فلسطين ، وتدفق اليهود من أنحاء العالم إليها .»

هذا هو حرفياً الرأى «الرسمى» الذى ورد على الصفحة الثامنة من كتاب «مقاطعة إسرائيل : قواعدها وأهدافها» الصادر فى أغسطس سنة ١٩٥٦ عن المكتب الرئيسى للمقاطعة .. والتابع - طبعاً - لجامعة الدول العربية . ١

وعلى نفس الصفحة ، يرى نفس الكتاب أن «تاريخ هذه المقاطعة العربية للمكيان الصهيونى ، قد مر بمرحلتين ، تختلف كل منهما عن الأخرى .. فى أغراضها ووسائلها .»

●● المرحلة الأولى : تبدأ بالقرار الذى اتخذه مجلس جامعة الدول العربية - منذ أكثر من خمسين عاماً مضت - فى جلسته التى انعقدت فى الثانى من ديسمبر سنة ١٩٤٥ وتنتهى فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٠ .. وإن كانت المقاطعة فى هذه المرحلة لم يكتمل لها أسباب الإحكام» هكذا يقول نفس الكتاب الصادر عن الجامعة العربية .

●● المرحلة الثانية : تمتد من شهر أغسطس سنة ١٩٥٠ وحتى الآن .. وتبدأ بتلك

«التوصية» التي صدرت عن اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية فى شهر أغسطس ١٩٥٠ والتي سرعان ما أصبحت «قراراً عملياً» .. أقره مجلس الجامعة فى شهر مايو سنة ١٩٥١ .. و«يقضى بإنشاء مكاتب للمقاطعة فى كل دولة عربية على أن تعمل هذه المكاتب تحت إشراف مكتب رئيسى مقره دمشق»

الرأى «الرسمى» لجامعة الدول العربية - كما رأينا - يقسم تاريخ المقاطعة العربية للكيان الصهيونى إلى مرحلتين فقط .. وهذا الرأى فى تقديرى «ظالم» ومجحف .. ويتجاهل مرحلة «شعبية» هامة وأساسية تسبق المرحلتين اللتين ذكرهما الكتاب الصادر عن الجامعة العربية .

ربما : لأن هذا التقسيم «الرسمى» كما نعلم .. صادر عن جامعة «دول وحكومات» وليس عن جامعة شعوب وأحزاب وتنظيمات شعبية ونقابية . !!

وربما : لأننا فى الدول العربية وكما قلت من قبل .. قد اعتدنا - خلاص !! - على هضم دور الشعوب وتجاهل حقها . !

وشيوخ أو تداول مثل هذا «التأريخ الرسمى» لمراحل المقاطعة العربية وتطورها .. يجعل التاريخ «الحقيقى» لمقاطعة العرب للكيان الصهيونى وكأنه «تأريخ سرى» لا يعلمه أحد .. ذلك لأن التاريخ ، إن قرأناه جيداً فسوف نجد دائماً يقضح ويشده ، حتى ورقة التوت التي تستر عودة الحكومات وأصحاب المصالح من الحكام والسماسة والجواسيس وتجار التاريخ . !

وشيوخ مثل هذا التأريخ الرسمى «الحكومى» لمراحل المقاطعة العربية وتطورها .. يذكرنى أيضاً بتلك المحاولة «الفاشلة» التي حاول السادات من خلالها ومن خلال أبقاه الرسمية ، ودكاترة تاريخه الحكومى . أن يزيغ التاريخ «الحقيقى» لثورة يوليو ١٩٥٢ .. وينسب لنفسه «فضل» تأسيس ، وتخطيط ، وتكوين ، ومحضير ، وتنظيم ، وتفجير ، و .. «كل حاجة» تتعلق بثورة ٢٣ يوليو .. من خلال تلك اللجنة «الرسمية» التي ابتدعها ، وإنشأها بقرار منه، وجعل نائبه وقتها - حسنى مبارك - رئيساً لها ، وأسماها «لجنة إعادة كتابة تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢» .. بهدف النيل من عبد الناصر وتاريخ عبد الناصر . !

وطبيعى : كان لابد أن تموت مثل هذه المحاولة «المريبة» بموت صاحبها أنور السادات ، الذى أجمعت كل المصادر التاريخية على أنه ، وباعترافه ، كان مع زوجته جيهان فى السينما ليلة أن كان عبد الناصر ورفاقه يفجرون الشرارة الأولى للثورة . !!

طبيعى : كان لابد أن تموت مثل هذه المحاولة .. رغم الأموال التي أهدرها السادات من قوت الشعب المصرى على تلك اللجنة وأعضائها الواحد والعشرين ، والتي قفزت جملة المكافآت والعطايا التي حصلوا عليها عام ١٩٧٦ إلى ثلاثة وخمسون ألف جنيه .. ثم

تضاعف هذا المبلغ وقفز عام ١٩٧٧ إلى (١١٩) ألف و ٣٠٠ جنيه بالضبط .. ليصبح جملة المبلغ المهدر والذي حصل عليه واحد وعشرون فرداً فقط خلال عامين هو مائة واثنان وسبعون ألف و ٣٠٠ جنيه بالضبط ، وذلك من واقع أرقام الميزانية "الرسمية" للجنة المقدمة إلى الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة في ٢٧ فبراير ١٩٧٧ .. وهي الميزانية التي حصل عليها كاتب هذه السطور ونشرها في - حياة السادات - على صفحات العدد رقم (٢٥٥٥) من مجلة «روزاليوسف» الصادر في ٣٠ مايو سنة ١٩٧٧ .. علماً بأن هذا المبلغ الذي لم يكذبه أحد حتى الآن ، هو فقط المبلغ المهدر تحت بند واحد فقط هو حرفياً وكما جاء في الميزانية المذكورة «بند المكافآت وبدل الضيافة ، وحضور الاجتماعات» التي عقدتها اللجنة إياها ، خلال عامين فقط ، بدعوى كتابة شيء «وهمي» ولم يخرج إلى الناس حتى الآن .. واسمه الحقيقي «التاريخ الحكومي الذي يرضى السادات» . !!!

ولأنتى لا أكتب التاريخ «الحكومي» الذي «يرضى» جامعة الدول العربية أو حكوماتها .
لأنتى أحاول تنشيط ذاكرة العقل العربى «الأحوج» حالياً إلى تذكيره بالتاريخ الحقيقى للمقاطعة العربية لإسرائيل .. قلت أن هذا التقسيم «الظالم» لنشأة المقاطعة وتطور مراحلها فى الأوراق والمطبوعات الصادرة عن الجامعة العربية ، يشوه التاريخ «الحقيقى» ويتجاهل مرحلة «شعبية» هامة فى مسيرة المقاطعة العربية للكيان الصهيونى .. تلك المسيرة التى يزيد طولها الآن عن ١١٥ عاماً فى عمق التاريخ .. والتى تبدأ منذ تلك المرحلة التى استخدم فيها الشعب العربى فى فلسطين المقاطعة العربية للسلع اليهودية ، كأحد أسلحة المقاومة الشعبية ، التلقائية ، والعفوية ، فى مواجهته للموجه «الأولى» لهجرة اليهود إلى فلسطين ، والتى تحدد الموسوعة الصهيونية على صفحة (٢١٣) ، بدايتها بعام ١٨٨٢ والتى تقول نفس الموسوعة أنها «كانت رد فعل لفكرة المقاطعة الاقتصادية التى ابتدعها المستوطنون الصهاينة، وكانوا البادئين بها» منذ فجر تسللهم إلى فلسطين .. حيث كانوا يمتنعون عن شراء البضائع والحاجيات من المتاجر «العربية» ويمتنعون أيضاً ، عن الاستعانة بالأيدى العربية العاملة .. ورغم أن هذه السياسة اليهودية لم تكن معلنة ، إلا أن الجمعية الصهيونية كانت تسهر بطرقها الخفية على تطبيقها بدقة وإتقان^(١) .

وحينما تنبه العرب فى فلسطين .. وأدركوا فداحة الخطر الصهيونى ، وتزايد تسلل اليهود ، وسعيهم الخفى للسيطرة على مقدرات الحياة وسبلها فى فلسطين .

حينما شعروا بتفانم هجرة اليهود ، وتمرکزهم فى فلسطين .. رأى العرب فى المقاطعة

(١) جوزيف مغيزل : «المقاطعة العربية والقانون الدولى» صفحة (٥٦) سلسلة دراسات فلسطينية - العدد (٢٨) - بيروت - فى فبراير ١٩٦٨ .

اليومية للسلع اليهودية «سلاحاً» مساعداً لإضعاف النمو اليهودى المتلاحق على أرض فلسطين .. حيث تألفت لجان شعبية من «المسلمين والمسيحيين» بالاتفاق مع ما عرف وقتها باللجنة التنفيذية للمؤتمر العربى الفلسطينى ، وبالاتفاق مع ما عرف بعدها أيضاً بالهيئة العربية العليا ، وبمؤازرة الصحافة العربية الفلسطينية .. أخذت هذه اللجان الشعبية «العفوية» تدعو الأهالى والتجار العرب إلى مقاطعة السلع اليهودية ، ووقف التعامل مع التجار اليهود .. أملاً فى أن يحد ذلك من تقدم الانتاج الزراعى والصناعى اليهودى ، ومن تطوره ، وبالتالي يخفف من تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين .

وكان من أبرز إيجابيات هذه المرحلة الشعبية من المقاطعة العربية «العفوية» للمتاجر ، والتجار اليهود .. أن أضطرت الشركات العالمية إلى أن تجهد لها وكلاء من العرب الفلسطينيين فى مقابل وكلائها اليهود فى فلسطين .. بهدف تصريف منتجاتها بين الفريقين فى وقت واحد .

وربما تكون هذه المرحلة «الشعبية» فى تاريخ المقاطعة العربية لليهود ، هى أيضاً أحد الأسباب غير المباشرة التى ساعدت - إلى حد ما - ويمرور الوقت على تكوين «الجيتو» اليهودى فى فلسطين .. أى ساعدت على تكوين أحياء «يهودية» تجارية من جهة .. وأحياء «عربية» تجارية من جهة أخرى فى فلسطين .

وبالتناسبية : كلمة «جيتو» التى تطلق على أى حى يهودى فى العالم .. «بعض المصادر»^(١) ترى أنها أصلاً ، مشتقة من كلمة «يورجيتو» الإيطالية .. وتعنى «حياً من أحياء المدينة» .

وأول جيتو فى التاريخ .. أى أول حى يهودى عرفه التاريخ ، أقامه اليهود لأنفسهم ، وبارادتهم فى إيطاليا ، موطن نشأة «المافيا» العالمية .

وبالضبط : فى مدينة البندقية عام ١٥١٦ ميلادية .. أى منذ ٤٨٠ عاماً بالضبط .

أما السبب ١٢ فقد تعددت الأسباب و«الجيتو» .. واحد .

فى فلسطين : كان السبب الذى دفع اليهود إلى أن ينشئوا لأنفسهم ، وبأنفسهم أحياء يهودية خالصة ، هو عداء اليهود للعرب .. وامتناعهم عن شراء حاجياتهم واحتياجاتهم من المتاجر العربية .

وفى أوربا : كان السبب الذى دفع اليهود إلى أن ينشئوا لأنفسهم - وبأنفسهم - أول حى يهودى فى التاريخ ، هو العداء الذى بين المسيحيين واليهود .

(١) وجيه أبر ذكري : «الإرهابيون الأوائل» - صفحة (٢٠) - المكتب المصرى الحديث - القاهرة - فى يناير ١٩٨٧ .

يقول رول ديوارنت : « العداة الدينى بين المسيحيين واليهود فى أوروبا الكاثوليكية .. هو الذى أدى إلى فصل عنصرى بينهما .. وهذا الفصل جاء فى أول الأمر طوعاً ، ثم بات قسراً فيما بعد .. وتمثل فى إنشاء أول حى يهودى سنة ١٥١٦ ميلادية »^(١) .

كان ذلك - كما يقول ديوارنت - فى دول شرق وشمال أوروبا المسيحية .

أما تحت راية الإسلام .. فهذا هو الدكتور حسن ظاظا يقول : « على أثر الفتح الإسلامى للقسم الجنوبى لأوروبا ، أى على أثر الفتح الإسلامى لأسبانيا والبرتغال ، عاشت الجالية اليهودية ، تحت راية الإسلام فى حرية ، وأمن ورخاء ، بفضل النظم الإسلامية الخاصة بأهل الذمة ، حيث كانوا يعفون من الجهاد ، ويدفعون لحمايتهم ، وحماية ممتلكاتهم ، ضريبة معلومة تسمى الجزية ، وبعد ذلك ، هم أحرار فى ممتلكاتهم ، وعباداتهم ، وموارشهم ، وثقافتهم .. بل ووصل الأمر فى الأندلس إلى أن المسلمين ، كانوا يسمحون لليهود ، ولغيرهم من أهل الذمة ، بحضور الدروس فى جامع قرطبة مثلاً .. باستثناء دروس القرآن الكريم .. وبفضل هذه الدروس ، برع الكثيرون منهم فى علوم اللغة العربية ، والرياضيات ، والفلك ، والفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والصيدلة ، وغيرها من فروع العلوم الدنيوية .. فى الوقت الذى كان فيه اليهود الشماليون أو الإشكناز فى نفس الفترة يعيشون فى عزلة تامة ، عن بقية المجتمعات الأوربية التى رفضت اليهود ولفظتهم ، فتقوقعوا فى أحياء خاصة بهم .. تلعنهم الكنائس المسيحية على متابرها ، وتقتهم القلوب المسيحية فى صلواتها ، لأنهم أعداء الله وقتلة المسيح »^(٢)

من كل ما سبق : يمكن القول بأن المقاطعة العربية لإسرائيل ، قد مرت بثلاث مراحل .. لا مرحلتين « فقط » كما تقول المطبوعات « الرسمية » بجامعة الدول العربية .

●● المرحلة الأولى : هى مرحلة « شعبية ، عفوية » إتمدت على مقاطعة أبناء فلسطين للمسلح اليهودية فى الفترة من عام ١٨٨٢ .. أى منذ العام الذى بدأت فيه الموجة « الأولى » لهجرة اليهود إلى فلسطين .. وحتى ظهور الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥ .

●● والمرحلة الثانية : هى مرحلة تدخل الجامعة العربية ، ومشاركة بعض الدول والحكومات العربية فى مقاطعة الكيان الصهيونى .. وتبدأ هذه الفترة بالقرار الذى اتخذه مجلس الجامعة العربية فى الثانى من ديسمبر ١٩٤٥ .. وتنتهى فى عام ١٩٤٩ .

●● والمرحلة الثالثة : وهى مرحلة تنظيم المقاطعة وتقنينها .. وهذه المرحلة ، تبدأ بتلك

(١) رول ديوارنت : « قصة الحضارة » الجزء الخامس من المجلد السادس صفحة (١٤٣) - ترجمة : محمد على أبو دره - القاهرة - فى عام ١٩٧٢ .

(٢) دكتور حسن ظاظا : مقال « اليهود والبيض والقهود السود » - منشور بمجلة الفيصل - صفحة (٤١) - العدد ١٩٩ - فى يوليو ١٩٩٣ .

"التوصية" التي أصدرتها اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية في شهر أغسطس ١٩٥٠ والتي سرعان ما تحولت إلى «قرار» عملي أقره مجلس الجامعة العربية في مايو ١٩٥١ .. وقضى بإنشاء «مكاتب للمقاطعة في كل دولة عربية ، على أن تعمل هذه المكاتب تحت إشراف مكتب رئيسي مقره دمشق»^(١) وبالتالي ظهور ما عرف بعدها باسم القوائم السوداء ، وهي القوائم التي تتضمن أسماء الشركات والأفراد والهيئات والمؤسسات المتعاملة مع الكيان الصهيوني ، ومقاطعتها هي الأخرى .. وهذه المرحلة تبدأ من عام ١٩٥١ وحتى الآن .

وفي الحقيقة : نستطيع القول أيضاً بأن المقاطعة العربية على مدى التاريخ ، لم تكن إلا سلاحاً من أسلحة المقاومة العربية ، وهي بهذه الصفة ، لم تكن موجّهة ضد الأشخاص أو السلع ، أو الصناعات ، أو المنتجات الصهيونية فقط .. وإنما كانت - ويجب أن تظل - موجّهة ضد كل الغزاة ، وضد كل أشكال الغزو والتسلل .

وكما قلنا من قبل : التاريخ .. إن قرأناه جيداً ، فسوف نجدّه يفضح وبشدة ، حتى ورقة التوت التي تستر عورة الحكومات وأصحاب المصالح المشبوهة .

وما أشبه اليوم بالبارحة : ذلك لأن التاريخ أحياناً يعيد نفسه بالفعل ، مع إدخال بعض التعديلات البسيطة ، لزوم تغير الأماكن والأسماء .

ومن لا يصدق : يستطيع أن يقرأ - مثلاً - ناجي علوش في كتابه الهام «المقاومة العربية في فلسطين» حين يذكرنا بمواقف المندوب السامي البريطاني «واكهوب» .. ويفضح سياساته في التقرب من «الزعماء والوجهاء العرب» وقتها .. وما نجم عن هذه السياسة «من إندفاع السماسرة العرب في تسهيل بيع الأراضي العربية للصهاينة فضلاً عن قيام هؤلاء السماسرة والمندوب السامي البريطاني بترويج فكرة التعاون بين العرب واليهود من خلال إكثار الإنجليز ومندوبهم السامي من إقامة المآذب والحفلات والاجتماعات التي كانوا يدعون إليها زعماء ووجهاء العرب والصهاينة معاً» .

وما أشبه اليوم بالبارحة ..

ومن لا يصدق .. يدنئ على الفرق بين ما يفعله الأميركيان حالياً من خلال ولائم، وصحف، وبحوث ، ومؤتمرات ، وكاميات ، واتفاقيات ومنح وعطايا هذه الأيام .. وبين ما كان يفعله الإنجليز مع زعماء العرب واليهود زمان !!!

(١) «مقاطعة إسرائيل - قواعدها وأهدافها» - الجامعة العربية - منشورات المكتب الرئيسي لمقاطعة إسرائيل - صفحة (١٥) - أغسطس ١٩٥٦ .

وإذا كانت السنوات الخمس الأولى في عمر هجرة اليهود إلى فلسطين ، قد مرت «هادئة».. فإنها سرعان ما شهدت تحولاً واضحاً ، وانقلاباً ملموساً في موقف عرب فلسطين تجاه هذه الهجرة ، بعد أن بدأوا في «التنبه» إلى خطورة الزحف الصهيوني على بلادهم .. بل وأصبح من المألوف وقوع صدامات «مسلحة» بين العرب والمستوطنين اليهود كما حدث عام ١٨٨٦ ، وكما سنرى تفصيلاً بعد قليل .

ويوماً بعد يوم : نضجت المقاطعة العربية لليهود في فلسطين ، وتبلورت ، واشتد عودها من خلال الممارسة ، ومن خلال الكفاح الشعبي أثناء الانتداب البريطاني ، وأثناء الحكم العثماني ، وقبل اندلاع الثورة العربية الكبرى في عام ١٩٣٦ «وزادت أهمية المقاطعة العربية كسلاح مقاومة ، في أواخر أيام الانتداب البريطاني على فلسطين ، الأمر الذي دفع جامعة الدول العربية في الثاني من ديسمبر ١٩٤٥ ، وهي لا تزال مؤسسة وليدة ، إلى الشعور بوجوب الاهتمام بالمقاطعة العربية ورعايتها .. خصوصاً بعد أن تطورت الأمور بسرعة وأعلنت إسرائيل عن قيامها .. حيث أخذت المقاطعة العربية بعدها ، وضعاً سياسياً ، وقانونياً جديداً في طبيعته ونوعيته»^(١)

هذا هو مثلاً دكتور كامل محمود خله في كتابه «فلسطين والانتداب البريطاني» الصادر في مايو ١٩٧٤ يؤكد أن المصادر اليهودية نفسها تعترف بأن الاستيطان الصهيوني «قد أثار أول موجة من المخاوف والاحتجاجات التي دلت على بداية مقاومة الشعب العربي للمشروع الصهيوني في فلسطين»

وفي مقدمة هذه المصادر .. ساق لنا كتاب «فلسطين والانتداب البريطاني» على صفحته السابعة ما قاله واحد من أهم هذه المصادر اليهودية الشهيرة ، هو «السبرج» حيث أكد أنه في السنوات الأولى لهجرة اليهود إلى فلسطين والتي حصرها بين عام ١٨٨٢ وعام ١٩٠٣ .. سمعنا اعتداءات عربية على المستوطنين اليهود ، وعن خلافات وصدامات عديدة وقعت بين العرب واليهود في فلسطين» أيام الحكم العثماني .

وهذا هو أيضاً دكتور عبد الوهاب الكيالي في كتابه الشهير «تاريخ فلسطين الحديث» الصادر في بيروت عام ١٩٧٠ يؤكد أن «الصدامات المسلحة بين الفلاحين العرب والصهاينة الغزاة عام ١٨٨٦ قد بدأت عندما قام الصهاينة بمهاجمة الفلاحين العرب المطرودين من قرَاهم المغتصبة» وبالذات في قرية الخنضيرة ، وقرية مليس ، التي أسماها اليهود بعدها بتاح تكفا .. وهذه الصدامات - يقول الدكتور الكيالي - أنها هي التي دفعت الحكومة العثمانية في عام ١٨٨٧ إلى «فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهيونيين الذين كانوا

(١) هاني الهندي : «المقاطعة العربية لإسرائيل» سلسلة دراسات فلسطينية - صفحة (٤٢) - العدد (١٠٤) - بيروت في مايو ١٩٧٥ .

يتسللون إلى فلسطين ويدخلونها كسياح» . إلا أن هذه القيود ، كانت غير جدية ، وتنقصها الفاعلية ، بسبب حالة الضعف والانهيار التي تميزت بها السلطة العثمانية وقتها .

★★★

وإذا كان الفلاحون العرب هم أول من حمل السلاح ضد الصهاينة ، فإن الهجرة اليهودية وقتها ، قد أثارت مخاوف أخوتهم المهنيين والتجار ، وأغلبهم من المسيحيين العرب ، نظراً لما انطوت عليه هذه الهجرة من خطر المنافسة .. ثم سرعان ما شملت هذه المخاوف قطاعات لم تتضرر مباشرة من هجرة اليهود في مراحلها الأولى .. حيث قام وفد من «وجهاء» القدس المسلحين في مايو ١٨٩٠ بتقديم احتجاج ضد «متصرف القدس» بسبب محاباته للصهاينة .

وفي ٢٤ يونيو ١٨٩١ قام أيضاً وجهاء القدس بتقديم عريضة أخرى «للمصدر الأعظم»^(١) .. أي رئيس الوزراء العثماني .. طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين وتحريم امتلاكهم للأراضي فيها .

ومعروف أن الحركة الوطنية الفلسطينية ، قد تبنت منذ تلك الفترة ، مطلبين شهيرين ، بقيا لعشرات السنوات أهم شعارات الكفاح الوطني الفلسطيني ، وهما «إيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ومنع بيع الأراضي العربية للصهيونيين»^(٢)

يقول هاني الهندي في كتابه الهام «المقاطعة العربية لإسرائيل» أن العرب في هذه السنوات .. أي في أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، قد لجأوا إلى كل أساليب الكفاح «السياسي» غير المسلح .. ولعبت الصحافة العربية ، والنواب العرب في مجلس «المبعوثان» .. أي في البرلمان العثماني .. دوراً هاماً وبارزاً «في إثارة مسائل هجرة الصهاينة إلى فلسطين وشرائعهم للأراضي العربية بها وإستيطانتهم فيها .. وخطر ذلك على وجود العرب ومصيرهم في فلسطين» .. إلا أن هذه المقاومة التي اتخذت وقتها «طابعاً فردياً» .. بعيداً عن التنظيم والتخطيط ، قد أخذت تتبلور ، وتتطور تدريجياً ، وكان وراء هذا التبلور والنمر عوامل ثلاث .

● أولها : استمرار الهجرة وتزايد المشروعات الصهيونية ، واتساع الوجود الصهيوني ، واتخاذها طابعاً ظاهراً من التنظيم والعلنية ، ظهر واضحاً بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني بمدينة بال بسويسرا في ٢٧ أغسطس ١٨٩٧ .

● والثاني : هو أن الموجه الثانية من المهاجرين الصهاينة الذين جاؤوا إلى فلسطين بعد الثورة الروسية الأولى في ١٩٠٥ قد تميزت بنوعية أفرادها الذين حملوا أفكاراً سياسية ،

(١) مجلة شتون فلسطينية - صفحة (٧٤) - العدد رقم (٣٦) في أغسطس ١٩٧٤ .

(٢) هاني الهندي : مصدر سابق

وعقائد أيديولوجية ، وخبرات تنظيمية «حزبية ونقابية» متقدمة ومتنوعة .

● والثالث : تزايد شعور العرب بتواطؤ الحكم العثماني وتغاضيه عن هجرة اليهود لفلسطين ، وعن شرائهم للأراضي بها والاستيطان فيها .. وتزايد شعور العرب أيضاً ، بأن هذا «التغاضي» العثماني ، هو في حقيقته لأسباب تركية ، دولية .

وعليه فقد انعكس تأثير كل هذه العوامل الثلاثة على العرب ، ووجدوا أنه لا مفر من الاعتماد على أنفسهم . بعد أن تأكدوا من أن السلطة العثمانية غير راغبة في وضع حد للغزوة الصهيونية لفلسطين .. وتحلى هذا الاعتماد على الذات ، في ظهور تطور بارز في مسيرة المقاطعة العربية .. هو أن التصدى لخطر الاستيطان اليهودي في فلسطين قد بدأ ينتقل من مرحلة العقوبة والتلقائية .. إلى مرحلة التخطيط ، والتنظيم ، وتوحيد الجهود .

بدليل : ما كتبه أثيرت عنتيبي في أكتوبر ١٩٠٩ مؤكداً أنه قد تم «تشكيل منظمة سرية محلية ، من المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين ، مهمتها الأولى ، هي الحيلولة دون بيع الأراضي العربية لليهود ، أما عام ١٩١٠ فقد شهد هو الآخر دعوة صريحة وعلنية إلى مقاطعة جماعية للبطائح اليهودية رداً على مقاطعة اليهود للبطائح والأيدى العاملة العربية»^(١) .. بل وامتدت مقاومة الأخطار الصهيونية إلى البرامج الانتخابية لمرشحي «متصرفية» القدس في مجلس «المبعوثان» ، أي البرلمان التركي وقتها .. حيث صرح راغب النشاشيبي أحد مرشحي القدس في انتخابات ١٩١٤ بأنه «سوف يبذل أقصى جهوده ، إذا نجح في الانتخابات لإزالة الخراب ، والخطر الذي يهدد المواطنين العرب في فلسطين ، من الصهيونية والصهيونيين»^(٢) .. فانتخب بأكثرية فائقة ، وفاز بعضوية «مجلس المبعوثان» التركي .. وتوالت بعدها ظهور الجمعيات والمنظمات الشعبية - العلنية والسرية - في باقي مدن فلسطين .

وبالطبع : لم تكن مثل هذه المنظمات المحلية الشعبية هي وحدها التي تقود ، أو تدعو إلى مقاطعة اليهود والحيلولة دون بيع الأراضي لهم في فلسطين .. وإنما تقتضى الحقيقة ، أن نقرر بأن الصحافة العربية في فلسطين ، وفي خارج فلسطين - وقتها - كانت تقف بقوة إلى جانب هذه المنظمات «السرية» .. بل ولعبت الصحافة دوراً هاماً وفعالاً في توعية الرأي العام العربي ، وحثه على مقاومة الخطر الصهيوني . الذي يهدد العرب جميعاً .

كيف .. ؟

تعالوا نرى .



(١) دكتور عبد الوهاب الكيالي : «تاريخ فلسطين الحديث» - صفحة (٦٠) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - في عام ١٩٧٠ .

(٢) مجلة شئون فلسطينية - صفحة (٨٦) - العدد (٣٦) - في أغسطس ١٩٧٤ .